



دار المنظومة

DAR ALMANDUMAH

الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تأثيرات انجليزية في الشعر السوداني
المصدر:	التواصل
الناشر:	جامعة عدن - نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي
المؤلف الرئيسي:	خليفة، مبارك حسن
المجلد/العدد:	ع 4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2000
الشهر:	يوليو
الصفحات:	107 - 99
رقم MD:	224231
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الشعراء السودانيون، الشعر العربي، السودان، الثقافة الانجليزية، الادب الانجليزي، نقد الشعر، الشعراء الإنجليز
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/224231">http://search.mandumah.com/Record/224231</a>

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.  
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

## تأثيرات إنجليزية في الشعر السوداني

أ. مشارك د. مبارك حسن خليفة

### تمهيد

في السودان، إبان الحكم البريطاني، كانت اللغة الإنجليزية هي اللغة السائدة في ميدان التعليم خاصة في كلية غردون التذكارية التي أنشأها الإنجليز عام ١٩٠٢، في مستوى المدرسة المتوسطة ثم تطورت إلى المدارس العليا فكلية الخرطوم الجامعية، ثم جامعة الخرطوم في منتصف الخمسينات. وكذلك في المدارس الثانوية التي أنشئت في الأربعينات لترشد المدارس العليا بالتلاميذ. كما كانت اللغة الإنجليزية هي السائدة في ميدان العمل في دواوين الحكومة.

لهذا السبب انفتحت، للسودانيين، نافذة على الثقافة الغربية، والإنجليزية على وجه الخصوص، وعلى الشعر الرومانسي بصفة أخص. وظهر الأثر الرومانسي في كتابات بعض النقاد ثم في أشعار الشعراء لاحقاً.

ونجد هذا الأثر منذ العشرينات عند ناقدين هما الأمين علي مدني وحمزة الملك طمبل. فالأمين يتحدث عن نفسه وهو يواجه الشعراء التقليديين في السودان، الذين اتهموه بالجنون حين دعا إلى التجديد، يقول: " أنا شاعر أطير بأجنحتي الأثرية في الفضاء، محلق في سماء الحرية، مترنم بأناشيد الوقت، منصرفة أنني عن أغنية الماضي، وعن ألحان المستقبل، فأنا شاعر الساعة. أنا شاعر بلا قيد. أنا شاعر بلا قيد أو شرط، ولا أعرف الوزن ولا أجيد القافية، ولا أستطيع أن أحرق عواظي بخوراً أمام عظمة الأمراء وابهه الأغنياء وتيه الوجهاء - أنا شاعر مجنون<sup>(١)</sup>.

وهذه انطلاقة رومانسية عبر عنها الأمين علي مدني على هذا النحو، ولحمزة الملك طمبل آراء في فهم الشعر تتفق مع آراء ماثيو أرنولد الأديب الإنجليزي المعروف، الأمر الذي جعل ناشر ديوانه، يجعل مقدمته كلمة في الأدب لماثيو أرنولد مترجمة إلى العربية<sup>(٢)</sup>.

إضافة إلى ما ذكرناه عن أثر الثقافة الإنجليزية، نذكر أثر التيارات التجديدية في الشعر العربي عند جماعة المهجر وجماعة الديوان وجماعة أبولو. ويأتي التجاني يوسف في الثلاثينات، ليبلغ بالشعر الرومانسي ذروته، متأثراً بهذه التيارات، وقد ساهم بقلمه ناقداً ومحللاً الحركة الأدبية في السودان وفي العالم العربي. ومن المسائل الهامة التي أثارها التجاني ضرورة الالتفات إلى الآداب

الأجنبية في لغاتها الأصلية، أو عن طريق الترجمة ولم يكن التجاني يعرف أية لغة أجنبية<sup>(٣)</sup>.

وسيقتمر بحثنا على أثر التيار الرومانسي الإنجليزي في الشعر السوداني الحديث. وقد ظهر الأثر فيما يمكن أن نسميه " الصور الجزئية " و " تمثل الفكرة العامة "، وتمثل الفكرة أكثر تجلياً من الصور الجزئية في هذا الشعر.

### الصور الجزئية

نجد أمثلة للصور الجزئية عند الشاعر محمد المهدي مجنوب الذي ترسبت في نفسه بعض المعاني والصور من إطلاعها على الشعر الإنجليزي. وقد أورد الدكتور الخانجي أمثلة من هذا الشعر في دراسته عن المجنوب، نذكر منها قول المجنوب في قصيدته " حبيب " (٤).

لحت لي طائراً يبشر عيني بشطّ به الوعود الملاح (٥). ويرى الدكتور الخانجي أن هذا من قول الشاعر الإنجليزي كولردج، في قصيدته " البحار القديم " وهو يتحدث عن طائر البطرس:

AT LENGTH DID CROSS AN ALBATROSS  
THROUGH THE FOG IT CAME AS IF IT  
HAD BEEN A CHRISTIAN SOUL  
WE HAILED IN GOD'S NAME ( )

كما لاحظ الدكتور الخانجي تأثر المجنوب بقصيدة الشاعر الإنجليزي شيللي المسماة " أغنية إلى الريح الغربية " في استعارته صورة تهافت أوراق الخريف الواردة في قصيدة شللي، وذلك في قوله:

O WILD WEST WIND , THOU BREATH  
OF AUTUMN ' S BEING ,  
THOU FROM WHOSE UNSEEN PRESENCE  
THE LEAVES DEAD  
( ) .ARE DRIVEN .....

يقول محمد المهدي مجنوب:

وأمسك رأسي وهو يهوي إلى الثرى

تهافت أوراق الخريف المجرّد (٦)

ويبدو أن المجدوب قد أطل النظر في قصيدة " البحار القديم "، فقد وجدت لها أثرا آخر في إحدى قصائده، ربما كان أوضح مما ذكر الدكتور الخانجي، وهو قوله يصف نعشا:

يلوح طيف النعش في صدرها كزورق في عباب جمد (٧)  
فهو من قول كولردج حين وصف السفينة والبحر الممتد دون أن يبين أفق، فتبدو  
— في سكونها — كأنها سفينة مرسومة على بحر مرسوم:

LIKE A PAINTED SHIP ON A PAINTED OCEAN ( )

### تمثل الفكرة العامة

يبدو في أن التأثير بالفكرة العامة بعد هضمها وتمثلها، وهو واحد من أهم ميادين الدراسة المقارنة، وتتجلى في هذا الجانب شخصية التأثر، إذ ربما يطور الفكرة، أو يتأثر بها تأثيراً عكسياً، ويكون بذلك الباب مفتوحاً للتأويل والشرح والتفسير.

وسأبدأ بقصيدة تعتبر — حسب تاريخ تأليفها ونشرها، من القصائد المبكرة، التي تأثرت بالشعر الإنجليزي، على الأقل في السودان. وتعتبر أيضاً من القصائد الأولى إطلاقاً، التي تحررت من البحر والقافية واعتمدت التفعيلة وحدة موسيقية. وهي قصيدة " آدم الصغير " للشاعر محمد أحمد محبوب، ألفها ونشرها سنة ١٩٣٥ (٨) وقد استمعت إليه في يوم من أيام عام ١٩٦٨، في ندوة في دار الثقافة في الخرطوم يقول، إنه تأثر في هذه القصيدة بالشعر الإنجليزي، تقليداً، لا اتجاهها في كتابة الشعر الحديث، الأمر الذي يجعلنا نرى أنه تأثر فيها بقصيدة الشاعر الإنجليزي الرومانسي ورد زويرث المسماة

INTIMATION OF IMMORALITY FROM: ODE

RECOLLECTION OF EARLY CHILDHOOD ( )

وكان ورد زويرث قد قدم لها بأسطر من شعره يقول فيها:—

MY HEART LEAPS UP WHEN I BEHOLD

A RAINBOW IN THE SKY

وورد زويرث يرى، في هذه الأسطر، أن الطفل (٩) أب الرجل وإنه يريد — كطفل — أن لو ارتبطت حياته بقدسية الطبيعة، بمعنى الرجوع إلى الفطرة الأولى. ومن حقنا أن نتساءل: من أين جاء المحبوب باسم " آدم الصغير " إن لم يكن من قول ورد زويرث:

THE CHILD IS FATHER OF THE MAN

ليس هذا فقط وإنما هنالك ما يدل على تأثر المحبوب بورد زويرث، خاصة في الحديث عن الطفل وارتباطه بالطبيعة، وامتلاكه الكون " بطريقته الخاصة ". إضافة إلى شيوع معجم ورد زويرث وبعض تعابيره في قصيدة المحبوب. وهذا مقطع من قصيدة "أم الصغير".

تارة يبكي وطورا يلعب  
أما تراه لا يبالي  
يتمنى، يترجى، يتدلل  
يكتم الغيظ، يظهر الحب  
يطلب النجم ويبكي إن فشل  
ذلك الطفل الغزير  
في صعود وهبوط وضجيج وهدوء  
يحكم السكون ويبني ويعيد  
يزعج القط ويلوي ذيله  
ويخاف النمل في الأرض يسير  
ياجوداً إن رضى  
وبخيلاً إن غضب  
أنت لست أدرى كنهه  
أنت شيطان أو ملك  
أم أنت من هذا البشر  
فيك خير وشور وحسد  
تنثر الحب لطيرك  
وتذيق الشاة أنواع الألم  
وأخوك الطفل لا ترحمه  
تزدريه وتعاني إن فرح<sup>(١٠)</sup> .. الخ  
وبعد يمكن أن ننظر إلى الجدول التالي لنقف على أثر معجم وتراكيب ورد زويرث على المحبوب.

المحبوب	ورد زويرث
(١) يحكم الكون ويبني ويعيد	Some Fragrant From his Dream Of Human
(٢) أنت سر أدرى كنهه	Life
(٣) تارة يبكي وطورا يلعب	A Wedding Or a Festival a Mourning Or a
(٤) أنت شيطان أم ملك	Funeral?

<p>(٥) تنثر الحب لطيرك وتنديق الشاة أنواع الألم</p>	<p>And the babe leap up on his Mother 's .arm Ye blaessed creature Sing , Sing a Joyous Song and let the young lamb bound As to the tabor ' s sound</p>
---	---

لاشك عندي، بعد هذا، في أن المحجوب تأثر بقصيدة ورد زويرث حين  
كتب " آدم الصغير " .

.....

وقد يتخذ التأثر سبيلا آخر فيما يسمى أحيانا " الأخذ بتصرف " وقد يعني  
هذا الالتقاء في الفكرة أو التأثر بها عكسيا، وقد يعني ترجمة جزء من قصيدة مثلا،  
وقد يعني هذا جميعا. ولكي أوضح الفكرة أضرب مثلا بقصيدتين الأولى للشاعر  
MATTHEW ARNOLD , RUGBY CHAPEL الإنجليزي  
والثانية " جيل الحياة " لكاتب هذه الدراسة.  
وقصيدة ماثيو أرنولد هي مرثية في والده.

والقصيدة في منحاها العام نذكرنا بمرثية أبي العلاء المعري الشهيرة:  
غير مجد في ملتي واعتقادي      نوح باك ولا ترنم شادي  
لا في ما رمى إليه المعري تحديدا ولكن في اتجاه التأمل في حياة بني  
البشر، والمقطع الذي استوقفني وشكل أساس قصيدتي هو قوله:

What is the course of the life  
Of mortal men on the earth ?  
Most men eddy about  
Here and there – eat and drink,  
Chatter and love and hate ,  
Gather and squander , are raised  
Aloft , are hurl ' d in the dust ,  
Striving blindly , achieving  
Nothing ; and then they die –  
Perish ; - and no one ask  
Who or what they have been ,  
More than he asks what waves ,  
In the moonlit solitudes mild  
Of the midmost ocean, have swell' d ,  
.Foam ' d for a moment , and gone  
And there are some , whom a thirst

Ardent , unquenchable , fires ,  
 Not with the crowd to be spent ,  
 Not without aim to go round  
 In an eddy of purposeless dust ,  
 .Effort unmeaning and vain  
 Ah yes ! some of us strive  
 Not without action to die  
 Fruitless , but something to snatch  
 From dull oblivion , nor all  
 Glut the ceavouring grave !  
 We , we have chosen our path –  
 Path to a clear – purposed goal ,  
 Path of advance ! – but it leads  
 A long , steep journey , through sunk  
 .Gorges , o er mountains in snow  
 Cheerful , with friends , we set forth -  
 .Then , on the height , comes the storm  
 .Thunder crashes from rock  
 To rock , the cataracts reply ,  
 .Lightnings dazzle our eyes  
 Roaring torrents have breach ' d  
 The track , the stream – bed descends  
 In the place where the wayfarer once  
 Planted his footstep - the spray  
 Boils o ' er its borders ! aloft  
 The unseen snow – beds dislodge  
 Their hanging ruin ; alas ,  
 Havoc is made in our train !  
 Friends , who set forth at our side ,  
 Falter , are lost in the storm  
 We , we only are left !  
 With frowning foreheads , with lips  
 Stemly compress ' d , we strain on ,  
 On – and at nightfall at last  
 Come to the end of our way ,  
 To the lonely ' mid the rocks ;  
 Where the gaunt and taciturn host  
 Stands on the threshold , the wind  
 Shaking his thin white hairs –

Holds his lantern to scan

:Our storm – beat figures , and asks

Whom in our party we bring ?

Whom we have left in the snow ?

والحديث هنا يدور عن بني البشر، وما يعانون في هذه الحياة، وما يعانون في سيرهم وصعودهم، فهناك من يسقط في الطريق، وهناك من يصل إلى نهاية المطاف، ونهاية المطاف هي " الخان " حيث " المضيف " الذي يستقبل من نجحوا في شق طريقهم الوعر، ووصلوا رغم المعاناة وقد يكون من يستقبلهم هو المسيح حسب الجو الديني الذي يسود القصيدة وقد يكون التاريخ.

أما النص العربي فيقول:

جبل الحياة

( مأخوذة بتصرف من قصيدة للشاعر ماثيو آرنولد )

كتب الفناء على العيون  
وكما رد نزق الطنون  
جبل الحياة يمد أصعبه الملوث بالمنون  
في السفح يصطخب الأنام  
وهناك من يمشون  
لا هدف يحرك داخل الإنسان فيهم  
لا العيون  
ترنو إلى أعلى الجبل  
فتظل تزدهم الفكر  
وتنوب في أيدي الرجال — من الشفاه —  
وتستحيل إلى عمل  
هم يأكلون ويشربون  
ويعشقون.. ويكرهون  
يسمون ساعاتٍ ودهراً يسقطون  
وتجف أنفاس الحياة  
والناس في صخب تراهم يسرعون  
لا يسألون عن الذي يمشي  
بلا هدف يحرك داخل الإنسان فيه



بلا عيون  
إلا كما سألوا عن الأمواج ترغى.. ثم تزيد  
ثم لا شيء هناك سوى المياه.. بلا عيون  
وهناك آخرون  
نار تأجج في نفوسهم.. فيلتهب الأتون  
ويناضلون  
لا الصخر يمنعهم  
ولا الأنواء ترهبهم  
ولا هم يسأمون  
ويراقبون رفاقهم يتساقطون  
فيحزنون  
ويواصلون  
يتسابقون ويسبقون الريح  
والأمطار: دوما يهزئون  
بالبرق يحتلب العيون  
بالراعدات.. الصاعقات وبالمنون  
ويواصلون السير.. حتما يلتقون  
بالنصر في أعلى الجبل  
بثمار ما كانت فكر  
فتلذ للإنسان دنيا  
كان يدعوها أمل (١١)

وبمقارنة النصين العربي والإنجليزي نستطيع أن نشير إلى بعض الفروق، ولعل أهمها أن النص العربي أتخذ مساراً اجتماعياً لا مساراً دينياً، وأن، كلمة "مناضلين" أصلح لوصف هؤلاء الناس، وأن وصولهم إلى نهاية المطاف يعني تحقيق آمالهم وأحلامهم التي ناضلوا من أجلها. ومن جاء الاختلاف أيضاً في تسمية القصيدة بـ "جبل الحياة".

هذا جهد يسير في موضوع يحتاج إلى جهود عديدة، ودراسة أكثر عمقا. وبالله التوفيق.

## المصادر

- (١) ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٢٠١.
- (٢) مقدمة ديوان الطبيعة لحمزة الملك طمبل.
- (٣) مجلة الفجر التي كانت تصدر في الخرطوم في الثلاثينات، المجلد الأول العدد السادس.
- (٤) رسالة ماجستير، للدكتور عبد الرحمن عبد الرؤوف الخانجي عن الشاعر محمد المهدي مجذوب، مطبوعة على الآلة الكاتبة.
- (٥) ديوان نار المجاذيب، محمد المهدي مجذوب، وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، الخرطوم، عام ١٩٦٨، ص ٢٥٨.
- (6) THE ANCIENT MARINER,  
COLERIDGE, NARRATIVE VERSE, V. 4,  
COLLINS LONDON, OXFORD, 1969
- (7) THE GOLDEN TREASURY,  
SELECTED AND ARRANGED BY FRANCIS TURNER,  
PALGRAVE, FIFTH EDITION, REPRINTED, 1977.
- (٨) نار المجاذيب ص ٣٣٨
- (٩) نار المجاذيب ٢٢٤
- (10) THE ANCIENT MARINER
- (١١) ديوان قلب وتجارب، محمد أحمد محجوب، مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٦٤
- (12-13) THE GOLDEN TREASURY
- (١٤) قلب وتجارب
- (15) MATHEW ARNOLD POEM ' S LIBRARY P. 306
- (١٦) ديوان الرحيل النبيل، مبارك حسن الخليفة، مؤسسة ١٤ أكتوبر سنة ١٩٨١.